﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١﴾ [يوسف: 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد الوصف الشّنيع، أقبلوا بالردّ لتبرئة ساحتِهم مِن سُوء الوصفِ المهين

لمّا ذَكَر النظم أنّهم قد نُودِي عليهم بالسّرقة، أعقبَه ببيان رَدِّ إخوةِ يوسفَ في الإجابة عن تلك التُّهَمَة، فَحَكى ما رَدُّوا به على المُنادِي[1]، فبعد النّداء عليهم بكونهم سارقين، أتبَعَه ببيان مقولهم إزاءَ ذلك النّداء المتضمِّن سُوءَ الاتّهام.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَقۡبَلُواْ﴾: فعلٌ ماضٍ جَذْرُه: (قبل)، وهو أَصْلٌ يَدُلُّ على مُقدَّم الشَّيء الذي يُتَّجَه إليه منه، لملاقاته أو النّفاذ فيه[2]. يُقالُ: فَعَلَ ذَلِكَ قِبَلًا، أي: مُواجَهَةً. وهذا مِن قِبَلِ فُلانٍ، أي: مِن عِنْدِهِ، كَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَقْبَلَ بِهِ عَلَيْكَ[3]، وأقبلَ إليه بوجهه: نقيض أدبرَ[4].

2) ﴿تَفۡقِدُونَ﴾: فعلٌ مضارعٌ جَذْرُه: (فقد)، وهو أصلٌ يَدُلُّ على ذَهابِ شَيْءٍ وضَياعِهِ، ومِن ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: فَقَدْتُ الشَّيْءَ فَقْدًا[5]. ويُقالُ: امرأةٌ فاقِدةٌ: ماتَ ولدُها أو حَميمُها. وأفْقَدَه اللّه كُلَّ حميمٍ، والتَّفَقُّدُ: تَطَلُّبُ ما غابَ[6]، والفقدُ: عَدَمُ الشَّيءِ بعد وجودِهِ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الواثقُ مِن طُهْرِ ساحتِه يستنكِرُ التّهمَةَ، ويُقبِلُ على دَفْعِها برَباطة جَأْشٍ

استَنكر إخوةُ يوسفَ هذه التُّهَمَةَ الّتي لا يعلمون عنها شيئًا، بسبب شِدَّة ثقتِهم بأنفسهم، استنكارَ المبهوت[8]؛ لكونهم أبناءَ نبيّ، ولا يمكن

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/478.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قبل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قبل).
(4) الفارابيّ، ديوان الأدب: 2/325.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فقد).
(6) الخليل، العين: (فقد).
(7) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (فقد).
(8) الماورديّ، النّكت والعيون: 3/62.

أن يَصْدُر منهم هذا العملُ الخسيس، أو أن تحومَ حولَهم شبهتُه، فانزعجوا منها، وأقبلوا على المنادي في إثْرِهِ ومَنْ معه مِن أصحابِهِ، فقالوا لهم مُتَعجِّبِيْنَ: ماذا ضاعَ منكم، حتّى تتَّهِمُونا بالسّرقة؟[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الفصل:

فُصِلَ الكلامُ، لِمَا فيه مِنِ استئنافٍ يُبيّن الجوابَ، عن سُوء الاتّهام

الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا، ولذا اخْتيرَ الفَصْلُ[2]، فكأنّه قيل: إنّ اتّهامَهم بالسّرقة شأنٌ عظيم، فماذا ردّوا إجابةً عنها؟ فقيل: ﴿قَالُواْ﴾[3]. فالجملةُ جوابٌ لنداء المنادِي إيَّاهم: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، وهو سببٌ في فصلها؛ لأنّها في طريقة المحاورة[4].

دلالة الواو، في قوله: ﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ﴾:

الخطابُ حالَ الإقبال عليهم، مَبعثٌ للعناية والاهتمام

الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾، مفتتحةٌ بالواو الحاليّة، فالجملةُ حالٌ "مِن ضمير ﴿قَالُواْ﴾، جِيء بها للدّلالةِ على انزعاجٍ ممّا سمعوه، لمباينته لحالهم"[5]، أي: قالوا حالَ كونِهم مُقْبلين عليهم، وكان الغرضُ مِنَ الإقبال عليهم إظهارَ حُسنِ الأدبِ في الحوار، مع عدم تنبيههم على إساءتهم، وتغاضيهم عنها، بعد تعجّل المنادِي عليهم، بنسبتهم إلى السّرقة[6].

إيثار لفظ ﴿وَأَقْبَلُواْ﴾:

الإقبال يَدُلّ على المواجهة الجريئة، ويُفْصِح عنِ الذِّمّة البريئة

آثر النّظمُ الكريم التّعبير بالإقبال في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾، دون غيره مِنَ الألفاظ، كـ (وعادوا)،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/175، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 244.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/385، وصافي، الجدول في إعراب القرآن: 7/33.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 10/169 - 170.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/28.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/295.
(6) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/385.

و(رجعوا)؛ لأنّ الإقبال يقتضي المواجهةَ، وهذا تعبيرٌ عن يقينهم ببراءتهم، وفيه دلالة على كونهم ليسوا في قلق ممّا قيل؛ لثقتهم ببراءتهم من ذلك الاتّهام، فخاطبوا المنادي بحُسن الأدب، وبإقبالٍ عليه؛ لأنّ الأمر خطيرُ الشّأن، فتحدّثوا برفقٍ لإزالة ذلك الاتّهام.

وجه صوغ: ﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ﴾، فعلين ماضيين مجموعين:

لا مناص مِنَ المزامنة بين القول والعمل، في مثل هذا المشهد

عبّر بالفعلين الماضيين ﴿قَالُواْ﴾، و﴿وَأَقۡبَلُواْ﴾ مجموعين؛ للدّلالة على تحقّق وقوعِ قولِهم، مع مجيئهم واجتماعهم على ذلك، وتمالُئِهم عليه.

دلالة شِبه الجملة:

الإقبال منوط بالمواجهة، وإظهارِ البراءة مِنَ التّهمَة

علّق النّظمُ الكريم فِعْلَ الإقبالِ بشبه الجملة ﴿عَلَيۡهِم﴾، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم﴾؛ إشارةً إلى أنّهم لم يحاولوا الهروبَ، أو التَّجَنُّبَ، بل جاؤوا لمواجهة المنادي، فدلّ شبهُ الجملة على أنّهم إذ أقبلوا فإنّهم قصدوا بإقبالهم المنادي الّذي أعلمهم بالسّرقة، ومن كان في معيّته مِن حاشية الملك أو شرطته.

دلالة الاستفهام:

الاستعلام عنِ المفقود على وجه الحقيقة، ذو أثر في الدّلالة

الاستفهام في قوله جلّ شأنه: ﴿مَّاذَا تَفۡقِدُونَ﴾ استفهامٌ حقيقيّ، وقد يكون مشوبًا بالتّعجّب[1]، والمراد منه: الاستعلام عمّا نُسب إليهم بسببه السّرقة.

أمّا تركيبيًّا فيَحْتَمِل أن تكون ﴿مَّاذَا﴾ لفظة واحدة "في موضع نصب بـ ﴿تَفۡقِدُونَ﴾، ويحتمل أن تكون (ما) وحدها استفهامًا مبتدأ، و(ذا) موصولة بمعنى الذي خبرٌ عن (ما)، و﴿تَفۡقِدُونَ﴾ صلة لـ (ذا)، والعائد محذوف، أي: تفقدونه"[2].

إيثار التّعبير بـ ﴿تَفۡقِدُونَ﴾:

حُسنُ الأدبِ بتعليم المتعجّل بالاتّهام التّرويَ والتّمهّل

حكى النّظم الكريم قولَ إخوةِ يوسف وإيثارَهم التّعبير بالفقد

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/136.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/303.

في قوله جلّ شأنه: ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾، وكانوا قد وجّهت إليهم تهمةُ السّرقة، ولم يقولوا: (ماذا سُرق منكم)؛ إذ إنّهم قد ساءَهم أن يُرْمَوا بهذا الوصف المشين، والتّهمةِ الكبيرة، فالتّعبير بالفقد جوابًا عن تهمة السّرقة يشير إلى كمال أدبهم، وترفُّعِهم عن هذا العمل الدّنيء، "ولله دَرُّ الأبرار والأخيار؛ حيثُ أُدّبوا بحُسن التّأديب، ولم ينبّهوهم بإساءة الأدب، وأشاروا إلى أنّ اللّائق له أن يناديَ بقوله: يا أيّتُها العِير فقدنا شَيْئًا، وضيّعنا أمرًا، قفوا حتّى نتفحّص مِن حاله، وهم تفطّنوا هذا التّلويحَ، وقَالُوا في المرّة الثّانية: ﴿نَفْقِدُ﴾"[1].

سرّ العدول عمّا يقتضيه الظّاهر في جملة الفاصلة:

إعـلان الـبراءة والنّزاهة للأنام، وتعليمُ الاحترازِ في الاتّهام

عدل النّظم الكريم عن التّعبير بـ (ماذا سُرق منكم) بحسب ما يقتضيه الظّاهر، إلى قوله جلّ شأنه: ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾؛ وذلك "لبيان كمال نزاهتِهم، بإظهار أنّه لم يُسْرَق منهم شيءٌ - فمن ذا الذي يستطيع أن يسرق خاصة الملك؟ -، فضلاً أن يكونوا هم السّارقين له، وإنّما الممكنُ أن يضيع منهم شيءٌ، فيسألونهم أنّه ماذا، وفيه إرشادٌ لهم إلى مراعاة حسنِ الأدب والاحتراز عن المجازفة، ونِسبة البُرَآء إلى ما لا خيرَ فيه، لا سيما بطريق التّوكيد"[2].

نُكْتَةُ التّعبير بالمضارع ﴿تَفْقِدُونَ﴾:

التّعبير بالمضارع يـسـتـحـضـر الصّورةَ والمشهد

عبّر النّظم الكريم بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾؛ لاستحضار الصّورة وتصوير المشهد[3]، كما أنّ دلالة التّجدّد والاستمرار في الفعل المضارع، تُشير إلى أنّ الفقد كان متّصلًا بزمن التّكلُّم[4].

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/385.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/295.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/295.
(4) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/137.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»